كلية العلوم الاجتماعية شعبة الانثروبولوجيا

د.عبد اللاوي ليندة مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الانثروبولوجيا الاقتصادية

المحاضرة الأولى :علم الاقتصاد ورواده

مقدمة:

تعد الانثروبولوجيا الاقتصادية من أحدث ميادين الانثروبولوجيا تعود نشأتها الى أواخر القرن التاسع عشر على هيئة "علم اقتصاد الإنسان البدائى و" الذى يدرس السلوك الاقتصادى للبدائيين، ثم تطور هذا العلم فى القرن العشرين ليربط مكتشفات النيوكلاسيكية الاقتصادية بنتائج دراسة فلاحى العالم والقبائل أيضاً، لكن الكتاب الذى بين أيدينا يربط علمي الاقتصاد والانثروبولوجيا معاً لدراسة الأزمات الاقتصادية المعاصرة، و وضع الباحثين منهجاً عميقاً لهذا الربط يرتكز على المعطيات التاريخية لتطور الاقتصاد و المتغيرات الاجتماعية، وما دفعهما لتأليفه، هو الازمة الاقتصادية الدولية التى حدثت العام 2008 ميلادية، وتداعياتها على كل المجتمعات.[1]

ففي سبعينيات القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية، وفى السنوات التى ركزت فيها الثورة البيروقراطية السلطة فى أيدى الدول القوية واحتكارات الشركات، أعاد الاقتصاد السياسى بناء نفسه بوصفه دراسة صنع القرار الفردى فى أسواق تنافسية إذ يتخذه مخلوق ملقب بالانسان الاقتصادى راح يظهر فى المراجع منذ وقت قريب من منعطف القرن، وفى حين كان عالم القرن العشرين الذى اتسم

[1] كريس هان وكيث هارت، الانثروبولوجيا الاقتصادية : التاريخ والاثنوغرافيا **والقد، ترجمة عبد الله فاضل، المركز العربي للأبحاث ودرلسة** السياسات، الطبعة الاولى ، بيروت، 2014، ص ص

بسرعة التمدين، يستهلك بالحرب والكارثة الاقتصادية، كان أنثروبولوجيون ينشرون بحوثاً إثنوغرافية عن شعوب نائية قدمت على أنها خارج التاريخ الحديث، وفى هذه المرحلة، لم يكن لعلم الاقتصاد ولا للأنثروبولوجيا كثير من التأثير العام، أما الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية فشهدت صعود علم الاقتصاد إلى الموقع المهم الذى يتمتع به اليوم هكذا، يتفحص الفصل الرابع كيف حافظ علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية على نقاش حيوى فى ما بينهم فى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، عندما كان الاجماع على دولة الرفاه فى ذروته، وكانت الحرب الباردة محتدمة، والأمبراطوريات الأوربية تتفكك، أما فى الفصل الخامس فسنراجع التيارات الرئيسية فى العقود التالية، عندما تبارت مقاربات نظرية عدة على النفوذ فى ميدان زاد انقسامه عن التيار السائد فى الأنثروبولوجيا وابتعاده عنه، ويمكن النظر إلى المقاربات الماركسية الجديدة والنسوية التى ازدهرت فى السبعينيات، على أنها سير بعصر الأنثروبولوجيا الاقتصادية الذهبى نحو قمته، أو على أنها دليل على فنائها، ومنذ السبعينيات، استمر الخلاف مخففاً فى شأن إن كان يجب إتباع قيادة الاقتصاديين أو رفضها فوراً، لكن التماسك الذى ساد فى عقود ما بعد الحرب ضاع، ووضعت حقبة الليبرالية الجديدة الأنثروبولوجيا الاقتصادية أمام تحديات وفرص جديدة، وإذا كان عمل العقود الثلاثة الأخيرة متنوعاً نظرياً، فهذا ينطبق أيضاً على الأنثروبولوجيا المعاصرة عموماً.[2]

علم الاقتصاد:

وجد علم الاقتصاد قبل وجود الانثروبولوجيا وقد عني بتدبير الموارد النادرة واستعمالها على نحو يسمح بالحصول على أكبر إشباع، ويُعرف على أنه الوصول إلى فهم الواقع المادي أو الاقتصادي المعاش عن طريق العقل.

[2] المرجع السابق ، ص 54

قد نعرف الاقتصاد على أنه مجموع السلع والخدمات المبتاعة والمباعة في اقليم وطني ...وهذا المصطلح يرتبط عادة بالبشر ...وهذا الاقتصاد قابل للتحديد كميا وفيه تعطى الأولوية عادة للانتاج الذي تعكسه مؤشرات رئيسية مثل "حصة الفرد من النتاج المحلي الاجمالي" [3]

يتجسد موضوع الاقتصاد الأساسي في الثروة الاجتماعية من جهة وسلوك الانسان الاقتصادي من جهة. اخرى. يهتم علم الاقتصاد بالنشاط الاقتصادي بما في ذلك : الانتاج، التبادل ، الاستهلاك ، التوزيع وما يتمخض عنها من ظواهر اقتصادية مثل التنمية والدخل و الادخار و الاستثمار والتضخم و الدورات الاقتصادية والبطالة وغيرها.

علم الاقتصاد هو علم إنتاج الخيرات المادية وتوزيعها واستهلاكها وإيجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية وزيادة إنتاج الخيرات المادية للتقليل من آثار ندرتها ورفاهية الانسان، باختصار هو علم عقلنة نشاط الانسان الاقتصادي لما فيه خير الانسان ورفاهيته.

حسب كامبل يعد علم الاقتصاد علم إدارة الموارد من أجل تعظيم من المنفعة والحصول على أكبر اشباع للحاجات، و بالتالي هو علم زيادة الثروة من جهة وعلم بحث توفير الرفاهية لأفراد المجتمع من جهة اخرى.

كارل ماركس والاقتصاد:

حلل ماركس نظام اقتصاد السوق في كتابه 'رأس المال' بالألمانية الأصلية : Das Kapital .في عمله هذا ، استعار معظم المفاهيم من الإقتصاديين الإنجليز الكلاسكيين كسميث و ريكاردو وأقلامهم ليقدم مفاهيم جديدة كالقيمة المضافة (surplus value) . من النقاط الأكثر أهمية في رأس المال هو دراسة الإقتصاد ككل و ليس انطلاقا من إحدى جوانبه.اعتمد تحليله على فكرة أن كون الإنسان كائنا منتجا وأن كل قيمة اقتصادية تأتي من العمل البشري. حلل ماركس نظام منتصف القرن التاسع عشر في انجلترا، نظام قائم على المقاولة الفردية والتنافس الذي ظهر منذ القرن

[3] المرجع نفسه ، ص 22

السادس عشر من تطوير الطرقات البحرية ، التجارة الدولة والإستعمارية . ساعد نموه التغيير الذي حصل في قوى الإنتاج (تقسيم العمل و تركيز ورشات العمل) ،اعتماد المكننة ، و التطور التقني. بنت المجتمعات المعتمدة على هذا النظام ثروة كبيرة عبر ''مراكمة هائلة للسلع .وهذا ، بدأ ماركس بدراسة هذا التراكم ، و تحليل التبادلات غير المكافئة التي تحدث في السوق.

بالنسبة لماركس ، إذا ما قدم الرأسمالي رؤوس أمواله لشراء القطن و استعمله لإنتاج منسوجات قطنية ليبيعه بثمن أكبر من ثمن شراءه، فقد يستطيع استثمار الفرق (أي الربح) في إنتاجيات إضافية.'' تقديم رؤوس الأموال لن يبقيها فقط في الدائرة الإقتصادية ، بل سيغير حجمها ، ويزيد من قيمتها ،هي عملية تحول تلك القيمة المضافة إلى رأسمال''. هذا التحول، بالنسبة لماركس ، ممكن فقط بسبب استيلاء الرأسمالي على وسائل الإنتاج ، بما فيها قوة العمل الخاصة بالعامل. الآن أصبحت قوة العامل (أي قدرته) تنتج أكثر من قيمتها. تحدد قيمة قوة العمل بكمية العمل الضرورية من أجل إعادة انتاجها،بعبارة أخرى ، بالكمية اللازمة للعامل للبقاء على قيد الحياة وتوفير احتياجات ذريته. ولكن بين يدي الرأسمالي ، قوة العمل المستعملة خلال اليوم تنتج أكثر من قيمة احتياجات العامل وعائلته للبقاء.الفرق مابين القيمتين يستولى عليه من طرف الرأسمالي، و الذي يوافق بشكل مثالي للقيمة المضافة المحققة من طرف الرأسمالي في السوق.

يؤمن كارل ماركس بأن : '' الإنتاج الرأسمالي يطور كلا من تقنياته ومزيج إنتاجه الاجتماعي عبر استنزاف ينبوع كل ثروة: الأرض و العامل ''

أدى ظهور الماركسية إلى إعادة تقييم العديد من المفاهيم الأساسية كالتاريخ ، الثروة و الاقتصاد مما مهد الطريق لولادة أنظمة اجتماعية و إدارية جديدة كالاشتراكية ، الشيوعية و الرأسمالية الجديدة ، إن هذه التحولات هي ما تجعل التطور التاريخي للمجتمعات تطورا للفكر الإنساني ككل، وعلى الرغم من العديد مما قدمته الماركسية من ايجابيات، فشلت هذه المدرسة عندما أتى دور التطبيق، فهي أتاحت لمن يتحكم بالسياسة امتلاك كامل مفاتيح اللعبة، و فتحت الباب أمام استغلال السلطة

المطلقة و مركزية القرار منتجة فساداً أدى الى ضؤول المدرسة الفكرية الماركسية و بروز مدارس فكرية اقتصادية أخرى أخذت ببعض مبادئها.[4]

أدام سميث والاقتصاد السياسي:

كان آدم سميث أول من استعمل هذا التعبير ليدل على العلم الذي يدبر الثروة . يعد أدام سميث مؤسس الاقتصاد السياسي حيث يقصي فيه المجتمعات البدائية من دائرة الحقل الاقتصادي منطلقا من مفاهيم غربية برجوازية رأسمالية لتحديد معنى "الاقتصادي".

وهنا يشاطر المنظور التطوري الشائع في تلك الفترة والتي مفادها أن المجتمعات البدائية اعتبرت مجتمعات غير اقتصادية لكونها تعيش في حالة اقتصاد طبيعي بدائي. فهي لا تعرف الا اقتصاد المعاش حيث تغيب العملة والرأسمال والتبادل الاقتصادي وكل مظاهر اقتصاد السوق. فهو مجتمع ينتج ما يحتاجه ولا وجود لفائض القيمة وهو ما يؤدي الى انعدام التبادل الذي يؤدي بدوره لغياب العملة. ان هذا المجتمع على الطبيعة في حالة بدائية من تطور الانسانية ولم يرق بعد الى مستوى يجعله يصنف ضمن المجتمعات الاقتصادية.[5]

الاقتصاد الانساني:

ان مصطلح الاقتصاد الانساني يشير الى " الرفاه والى اشباع الحاجات الانسانية كلها ، لا تلك التي يمكن تلبيتها عن طريق السوق الخاصة وحدها ، با أيصا الحاجة الى السلع العامة كالتعليم والأمن والبيئة الصحية، والى المزايا المعنوية ، كالكرامة، وهي أمور لا يمكن اختزالها بحصة الفرد من الدولارات المنفقة"[6]

---

[4] David T. Mc Lellan, Henri Chambre ,MARXISM, Mar 24, 2020, على الرابط الالكتروني https://www.britannica.com/topic/Marxism

[5] رحال بوبريك، مدخل الى الأنثروبولوجيا ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2014، ص154

[6] K.hart, J-L,Laville and A, Caltani eds, The Human Economy: A citizen's Guide (2), ambridge , polity Press, 2010, P 21

هكذا عرّف الاقتصاد الانساني الذي استقطب اهتمام الكثير من الانثروبولوجيين في بداية القرن اعشرين للخوض والتوسع في دراسة التنظيم الاقتصادي الانساني برمته من منظورات عدة ومقاربات مختلفة ، كلها ساهمت في انبثاق الانثروبولوجيا الاقتصادية وقيامها كعلم قائم بذاته. كانت أولى تلك الأبحاث اثنوغرافية ميدانية قائمة على الملاحظة بالمشاركة من خلال الانضمام الى شعوب في أماكن عيشهم من اجل رصد طرق تفكيرهم وأساليب عيشهم ووسائل مختلف نشاطاتهم الاقتصادية.

الاقتصاد بوصفه تدبيرا لشؤون الأسرة :

جاءت كلمة اقتصاد في اللغة الانجليزية من كلمة اغريقية تعني "تدبير شؤون الأسرة" وغالبا ما ينعت الفيلسوف أرسطو بانه هو من أعطى الكلمة تعريفا نظريا [7] . كان أرسطو يعتقد أن الجنس البشري مقدر أن يعيش في مجتمع . وأطلق علينا اسم Zoon Politikon ، وهو تعبير كان أحيانا يترجم ب "الحيوان السياسي" لكنه كان يعني بذلك أننا بحاجة الى نطام تعاوني للجماعة ...وكان المجتمع تعبيرا عن الطبيعة البشرية ، وتعبيرا في الواقع عن المنطق الأوسع للعالم الطبيعي. وكان جوهر ذاك العالم بيت تشغله عائلة، لكن ليس أي أسرة أو عائلة عادية ، وانما كانت في ذهنه البيوت الكبيرة التي تشيه القلاع و التي يشغلها ملاكو الارض الكبار مع عبيدهم ومستخدميهم وحرفييهم وحقولهم وبساتينهم وحيواناتهم. وكان الهدف من ذلك البيت هو الاكتفاء الذاتي الذي كان يتطلب ادارة مقتصدة لموارده، ادارة تطبق مبدأ تخطيط النفقات و التوفير .وكان هذا هو جوهر الاقتصاد...ومن جانب آخر، تبنى أرسطو في كتابه "الاخلاق النيقوماخية" فكرة أفلاطون ان التبادل ينشأ من تقسيم العمل ، وأضاف اليها فكرة أنه يكون "عادلا" عندما يكون "متناسبا" أي عندما تكون الأرباح والخسائر متساوية على الطرفين. ويكمن قياس هذا التناسب على أساس الحاجة. [8]

---

[7] KARL .Polanyi ,Aristolte discovers economy, in : K.Polanyi , C. Arensberg and Harry (1), Pearson eds, Trade and Market in the Early empires: Economies in history and theory, , Glenco.IL- Free Press , 1957, pp 64-94

[8] كريس هان وكيث هارت، **مرجع سابق**، ص 40